مجلة الموروث مجلد: 04 عدد: 02 السنة: 2022
ص: 60 - 71 ISSN:2710-8503/EISSN:2992-1538

توظيف أسطورة سيزيف في رواية "شيفرة بلال" لأحمد خيري العمري

Employing the myth of Sisyphus in the novel “Bilal’s Code” by Ahmed Khairy Al-Omari

صباح بريم
SABAH BERRIM

جامعة أمين العقال حاج موسى أق أخموك – تمنغست / الجزائر.
University centre Amin alokal Hadj Moussa Ag Akhamouk– Tamanghasset– Algeria
berrimsabah@gmail.com

تاريخ الإرسال:2022/10/13	تاريخ القبول:2022/11/14	تاريخ النشر : 2022/11/30

مُلخّص البحث

تمثل الرمز الأسطوري واحدة من أهم الرموز، التي تمنح النصوص القدرة على تجاوز أبعاد الزمان والمكان، وتعمل على فتحها على أبعاد وآفاق كثيرة، ومن خلال هذه الورقة البحثية عملنا على إبراز دور الأسطورة وأثرها في رواية "شيفرة بلال" لأحمد خيري العمري، ولنرى كيف تمكن من توظيف أسطورة سيزيف، والأثر الذي شكلته عندما زاوج بينها وبين قصة بلال الحبشي، هل تمكن من خلال هذا التوظيف من أن تشكل هذه الأسطورة بؤرة دلالية في هذا النص؟ وهل تمكنت فعلا من فتحه على تلك الآفاق الدلالية الجديدة؟

الكلمات المفتاح : الأسطورة، أسطورة سيزيف، بلال الحبشي، الرمز، أحمد خيري العمري.

Abstract : The mythological symbol represents one of the most important symbols, which gives texts the ability to transcend the dimensions of time and place, and works to open them to many dimensions and horizons. Through this research paper, we worked to highlight the role of myth and its impact in the novel “Bilal’s Code” by Ahmed Khairy Al-Omari, and to see how it was possible to From the use of the myth of Sisyphus, and the effect it had when he combined it with the story of Bilal the Ethiopian, was he able, through this use,

to make this myth a semantic focus in this text? Were you actually able to open it to these new semantic horizons?
Keywords: The myth, the myth of Sisyphus, Bilal Al-Habashi, the symbol, Ahmed Khairy Al-Omari.

المرسل :البريدberrimsabah@gmail.com

مقدمة:

يمثل الرمز الأسطوري واحدة من أهم الرموز، التي تمنح النصوص القدرة على تجاوز أبعاد الزمان والمكان، وتعمل على فتحها على أبعاد وآفاق كثيرة، ومن خلال هذه الورقة البحثية عملنا على إبراز دور الأسطورة وأثرها في رواية "شيفرة بلال" لأحمد خيري العمري، ولنرى كيف تمكن من توظيف أسطورة سيزيف، والأثر الذي شكلته عندما زاوج بينها وبين قصة بلال الحبشي، هل تمكن من خلال هذا التوظيف من أن تشكل هذه الأسطورة بؤرة دلالية في هذا النص؟ وهل تمكنت فعلا من فتحه على تلك الآفاق الدلالية الجديدة؟

كان المخزون الأسطوري –ولا زال– مصدر إلهام للمبدعين من شعراء وروائيين، فنهلوا من معينها بما يقدمه من إمكانيات لغوية ومجازية وإيحائية، كما تعكس رؤية الإنسان في كل عصر للحياة، حيث حركوا من خلالها الجمادات وفسروا الظواهر الكونية.

1– مفهوم الأسطورة

الأسطورة حكايات تقوم على تفسير الظواهر الكونية؛ أبطالها هم الآلهة وأنصاف الآلهة، عرفها كراب (**A.H.Krappe**) بأنها: "حكاية تلعب فيها الآلهة دورا أساسيا فأكثر"[1]، وتعمل الأسطورة على تفسير كيفية نشوء الظواهر الكونية، و "تشرح أصل العالم على أساس كوني ومحلي في ذات الوقت ، فهي تخبرنا كيف تكون الكون، وكيف اكتسب مجتمع ما خواصه وقوانينه"[2]، وترتبط الأساطير ببدائية البشر، وما كانوا يمارسونه من شعائر وطقوس دينية، وذلك في محاولتهم لتفسير الظواهر الطبيعية وعلاقاتهم بالكائنات.

يقول نعيم اليافي في تعريفه للأسطورة أنها: "تلك المادة التراثية التي صيغت في العصور الإنسانية الأولى وعبر بها الإنسان في تلك الظروف الخاصة عن فكره ومشاعره اتجاه الوجود

فاختلط فيها الواقع بالخيال، وامتزجت معطيات الحواس والفكر واللاشعور، واتحد فيها الزمان كما اتحد المكان، ..واتحدت أنواع الموجودات من إنسان وحيوان ونبات، والتحمت في كل متفاعل مع مشاهد الطبيعة، وقوة ما وراء الطبيعة واتخذت من التجسيد الفني وسيلتها للتعبير عن كل خلجة من شعور، وكل خاطرة من فكر..."[3]، فقد أدرك الإنسان منذ القدم –على بدائية تفكيره– وجود روابط تجمع أجزاء الكون، ولمحدودية وسائله لجأ إلى الخيال في محاولة لتفسير ما خفي عنه من تلك العلاقات، وتفسير ما يعجز عن إدراكه انطلاقا مما يدركه، فصور الظواهر الطبيعية كآلهة وأنصاف آلهة، ورسمهم بصور بشر وحيوانات، وألقى عليهم من الصفات البشرية المألوفة عنده، فالأسطورة مزيج من الواقع والخيال تسعى لربط الواقع بما فوق الواقع.

وقد ذهب توماس بولفينش (**Thomas Baulfinch**) إلى تقسيم الأسطورة إلى:

- أسطورة دينية: تقرر أن حكايات الأساطير كلها مأخوذة من الكتاب المقدس، مع وجود تغيير بها.
- أسطورة تاريخية: وتشتمل على عناصر تاريخية من ناحية، ومن ناحية أخرى تشتمل على الخوارق، إذ نجدها تجعل من بطلها مزيجا بين الإله والإنسان.[4]
- أسطورة رمزية (أو مجازية): ويرى توماس أن كل أساطير القدماء لم تخرج على أن تكون مجرد مجازات فهمت على غير وجهها.
- أسطورة طبيعية: وبمقتضى هذه الأسطورة تتحول عناصر الكون إلى كائنات حية أو تختفي وراء مخلوقات خاصة.[5]

2– التوظيف الرمزي للأسطورة في الأدب:

يعرف الرمز في معجم المصطلحات الأدبية بأنه: "شيء يعتبر ممثِّلا لشيء آخر...."[6]، فيأخذ بذلك الرمز مكان المرموز له كوسيلة يعتمدها الأديب للخروج من إطار التعبير المعتاد، الذي لم يعد يحدث في النفس انفعالا؛ لينتقل إلى استعمال الرمز كأسلوب غير مباشر يجعل المتلقي في حالة ترقب وتتبع للمعاني والدلالات الكامنة خلفه، ولا يقف توظيف الرمز على غاية التجديد في الخطاب فحسب، وإنما يهدف كذلك إلى إثرائه، فالرمز عنصر مسحوب عبر مساحة زمنية شاسعة يكتسب من خلال توظيفاته المختلفة دلالات جديدة تعلق به وتصبح جزءا منه، ما يفتح النصوص –متى وُجد فيها رمز– على أبعاد جديدة من خلال انفتاح النص على التجربة الإنسانية

المرتبطة بكل الاستعمالات السابقة له. كما يعمل الرمز على إضفاء الغموض الذي يدفع المتلقي للبحث والتأويل والتفسير ليتمكن من الكشف عن الدلالات الكامنة في النص؛ وبذلك يتحول المتلقي من مستقبل ومستهلك للنص، إلى باحث عن المعاني التي أودعها المبدع في نصه ومنتجا وكاشفا للدلالات الكامنة فيه.

والاستعمال الرمزي للأسطورة هو استخدام للأساطير بغرض فتح النص على قضايا كونية، يسعى من خلاله المبدع للكشف عن عوالم وحضارات القرون القديمة، ومحاولة إسقاطها على الحاضر، حيث تتحول الأسطورة إلى رمز يشكل بؤرة دلالية في العمل الإبداعي، ومصدر إشعاع يلقي بأثره على كل أجزاء النص، ويكون فهم تلك الأجزاء مرهونا بفهمه، كما تغني المبدع عن السرد والتقرير، فيعبر بالكلمة الواحدة عن مجموعة من المعاني، ويستحضر بالاسم المفرد أو بالعبارة الواحدة رصيدا ضخما من الدلالات، كما تمنح المتلقي مساحة يساهم من خلالها في تشكيل النص وفهمه وتفسيره حسب خبرته ومعرفته بتلك الأساطير، وكذا حسب رؤيته للواقع، والنزوع الأسطوري حالة يمارسها العقل دون الوعي الكلي للفرد إذ يعمل على التخفيف من سلطان النزعة العقلانية التي ترى الكون آلة جبارة عمياء، تعمل وفق قوانين أزلية ميكانيكية

ويرى فراس السواح أن الثورة العلمية قامت بتجريد الطبيعة من قدسيتها من خلال كشف أسرارها، وأن الفن التشكيلي هو المخول لإعادة تدثيرها برداء الجمال ليرجع إليها ذلك الحدس الخلاق، والإدراك الباطني للمدهش والقدسي[7]، ولهذا فالإنسان –رغم التفسيرات العلمية المبنية على العقل والوقائع للظواهر الكونية– يلجأ إلى الأسطورة وما تقدمه من تفسيرات مختلفة تخرج عن المألوف، وتحمل بين طياتها تعبيرا غير مباشر للمعاني الكامنة في نفسه مما يحفز القارئ على البحث والتنقيب في أعماله لبلوغ تلك الكنوز[8].

ومن أكثر الأساطير توظيفا في الأدب العربي الحديث والمعاصر نجد: سيزيف، أدونيس، عشتار، تموز، زرقاء اليمامة، وفي ما يلي سنسعى لتتبع أسطورة سيزيف في رواية (شيفرة بلال) لأحمد خيري العمري*، واستكشاف الأثر الذي خلقته داخل هذا العمل.

3– أسطورة سيزيف في رواية (شيفرة بلال):

أ– ثلاثية البطل في الرواية:

* كاتب وطبيب أسنان عراقي من مواليد 1970.

تقوم الرواية على بطل واحد أساسي (الطفل بلال)، يرافقه بطلين آخرين من أزمنة أخرى، تبدأ الرواية بالكاتب "أمجد"، والذي يسعى لكتابة قصة فيلم عن الشخصية الأولى، التي تظهر في العنوان (بلال)، ليسبقها بحديثه عن شخصيتين؛ الأولى منها هي شخصية (بلال الحبشي)، والأخرى مستوحاة من أسطورة أغريقية، (أسطورة سيزيف)، ويسبق الحديث عن صخرة بلال بالحديث عن صخرة أخرى وهي صخرة سيزيف، في مقابلة بين الشخصيات ليظهر التشابه والاختلاف بينهما، وهو ما سيظهر أكثر الصفات التي يريد إبرازها في شخصية بطل الأساسية.

– **البطل الأول**: ينطلق الكاتب مع بداية الرواية وفي أول صفحاتها برسالة إلكترونية يرسلها بطل الرواية (بلال)؛ إلى الكتاب (أمجد)، وتعمل تلك الرسالة على رسم ملامحه، فهو طفل ذو ثلاثة عشرة عاما يعيش في بروكلين نيويورك، يقوم بمراسلة (أمجد) صاحب فيلم يتحدث عن بلال الحبشي، هذا الطفل مصاب بنوع نادر من السرطان في الدماغ، يرغب في قراءة سيناريو الفيلم الذي يحمل اسمه، لأنه لن يعيش حتى موعد نزوله في دور السينما[9]، بعد أن جذبه نحوه تشابه الأسماء. يتحدث بلال عن حياته في ديار الغربة وما تعرض له من تنمر وعنصرية بسبب وزنه، ولونه، ما أوصله لتمني الموت كل ليلة ليتحرر من الظلم الواقع عليه، لتأتي محنته الأخيرة (وهي مرضه) ليرى فيها أثرا إيجابيا على حياته فتأخذ الشفقة مساحة كبيرة في تعامل الآخرين معه ما جعل العنصرية نحوه تخف بشكل كبير، وبعد أن رأى ذلك تصالح مع مرضه ورضي بقدره؛ إلا أنه مازال لم يصل إلى الهدف من حياته، والغاية من محنته.

– **البطل الثاني**: قبل أن يقدم الكتاب تصورا لأحداث الفيلم، يعرض أمجد ملخصا لأسطورة سيزيف للطفل في رده على رسالته، يقول فيه: "ملخص القصة أن الآلهة تعاقب سيزيف بأن يقوم بحمل حجر ضخم إلى قمة جبل، وهناك، وقبل الوصول إلى القمة، يسقط الحجر إلى القاع، ويكون على سيزيف أن يحمل الحجر مرة أخرى ويتكرر ما يحدث معه مجددا، مرة تلو مرة... إلى ما لا نهاية"[10]، وقد أشار ألبير كامو في كتابة (أسطورة سيزيف) إلى سبب اختيار الآلهة لهذه العقوبة كونها الأشد، "فليس هناك عقاب أبشع من العمل التافه الذي لا أمل فيه"[11]، ويرى كامو بأن العقوبة معقولة ومناسبة مقابل ما اقترفه سيزيف، فحسب الأسطورة أن سيزيف متهم بالسخرية من الآلهة، وسرقة أسرارها، كما تقول الروايات بأنه فضل بركة الماء على الرعد السماوي، ويخبر هوميروس أيضا أن سيزيف كان قد وضع الموت في الأغلال...، كما يقال أيضا

أن سيزيف عاد من العالم السفلي ليعاقب زوجته، وعندما رأى العالم مرة أخرى لم يرد العودة، ولم تجد معه علامات غضب الآلهة والتحذيرات، لترسل آلهة البلاغة (عطارد) ليقتاده بالقوة إلى العالم السفلي[12]، وبالنظر لهذه الروايات لقصة سيزيف فإننا نقف أمام مجموعة من الصفات لهذه الشخصية؛ منها: حب الحياة والتعلق بها، الخداع وتحدي الآلهة، والسخرية منهم، العمل ضد رغبة الآلهة وتغيير المسار الطبيعي للحياة (عند أسره للموت)، كل ذلك يؤهله لأن تتخذه الآلهة عبرة أبدية، لمن تسول له نفسه اقتراف تلك الأخطاء. ويرى كامو في حياة سيزيف في ظل العقوبة تحقق معنى العبثية من الحياة، ويسقط هذا المعنى على حياتنا اليومية، فالعبثية في هذه الأسطورة تكمن في الروتين الذي نعيشه بشكل يومي متكرر دون غاية أو هدف (سواء الراحة أو التعب أو المعاناة...)، ومن هذا المنطلق يرى في الموت احتمالية للنجاة من هذا الضجر السرمدي.

لا تظهر أسطورة سيزيف في عنوان النص، ولا في غلافه، ولا حتى في الصفحات الباقية في الرواية، وإنما يكتفي الكاتب بالإشارة لملخصها في بداية الرواية، لتلقي بإشعاعها على كل تفاصيل القصة لاحقا، وكأنها تعمل على توجيه القارئ للمقارنة الدائمة معها.

– الشخصية الثالثة: بعد أن هيأ أمجد الجو في نفس الطفل عن طريق عرض ملخص قصة سيزيف؛ يقدم له شخصية فيلمه الرئيسية، وهي شخصية بلال الحبشي، عبد أمية بن خلف، اكتشف سيده إسلامه فأخذ يخرجه كل ظهيرة إلى بطحاء مكة، فيدفع ومن معه بصخرة عظيمة، ويضعها على صدر بلال، ويقول له: لا تزال هكذا، حتى تموت أو تكفر بالدين الجديد وتعود لعبادة الأصنام[13].

ب– التشابه بين الشخصيات الثلاثة (سيزيف، بلال الحبشي، وبلال بطل الرواية):

ينطلق الكاتب (أحمد خيري العمري) لمعالجة مجموعة من القضايا التي تشبع بها الواقع من خلال شخصية (الطفل بلال)، وما يعانيه من عنصرية سواء على الشكل أو اللون ثم ما لحق ذلك من مرض ومعاناة وبحث عن معنى الحياة، ولإبراز ملامح هذه الشخصية يستخدم الكاتب رمزين متفاوتين زمنيا (سيزيف وبلال الحبشي)، حيث تتجلى الأسطورة في الصفحة 11، بصورة واضحة، ثم يعمل لاحقا أثناء رسمه صورة بلال الحبشي انطلاقا من أسطورة سيزيف كوسيلة لتوضيح ملامح بطل الفيلم، لما تحمله من مرونة ومطاوعة وذلك نتيجة التشابه بينها وبين الشخصين (بلال الحبشي، وبلال الطفل). ومع التقدم في أحداث الرواية نلاحظ اختفاء

الأسطورة، وذلك بهدف ترك المجال للقارئ لأن يبحث عن العلاقة بين ما يحدث وبين الأسطورة، التي تلقي بظلالها عبر كل أجزاء الرواية والفيلم، لتكون مصدر إشعاع في قصتي بلال وبلال، وبذلك تعمل الأسطورة في هذه الرواية على مستويي مختلفين زمنيا؛ لتفتح قصة الفيلم على أبعاد دلالية جديدة، فإن كانت صورة سيزيف صورة يجب على الطفل أن يتجنب التمثل بها، كان لابد للكاتب أن يقدم صورة أخرى، صورة يمكن للطفل أن يتشبه بها، وهو ما قامت به قصة بلال الحبشي، لتتحد الصور الثلاثة لتشكل الواقع و احتمالات المستقبل. وفي ما يلي نجمل أوجه التشابه والاختلاف بين الشخصيات الثلاث:

1- الصخرة:

نجد في القصص الثلاث عنصرا مشتركا وهو الصخرة، التي استخدمها أمجد تسمية لرسالته الأولى، ثم ينطلق منها في سرده للقصتين، يقول عن الصخرة الأولى: "أتحدث عن سيزيف، أسطورة سيزيف، تحديدا (صخرة سيزيف)"[14]، أما الصخرة الثانية: "حسنا، هذه صخرة سيزيف، فما علاقتها ببلال الحبشي؟ ولماذا أبدأ بها الحكاية؟ لأن ثمة صخرة أخرى، صخرة مختلفة تماما في قصة بلال الحبشي، صخرة، مهمة، وقد تكون أول ما يذكرها أي شخص يذكر (بلال)"[15]، فالصخرتان تمثلان مركز الحكايتين، وهي الدافع خلف استحضار أسطورة سيزيف، فرغم الاختلاف بينهما إلا كلا من سيزيف وبلال عوقب بها، وحملاها مرغمين لا خيار لهما في ذلك، وكلاهما مذنب من وجهة نظر المعاقب، فإن كانت الآلهة قد عاقبت سيزيف لأنه خدع إله الموت، فإن أمية بن خلف عاقب بلال لأنه ترك دينه وأسلم.

أما الصخرة الثالثة فهي صخرة الطفل بلال، "العنصرية والمرض"، فإن تمكن من التصالح مع محنته الأخيرة (المرض) لأنه كان سببا في تخفيف المحنة الأولى (التنمر والعنصرية)، إلا أنه وكطفل لم يتجاوز الحادي عشر من عمره مازال بحاجة لفهم أعمق للأسباب ولسبل الوصول إلى العبر. ومن خلال مقابلة الصخور الثلاثة نجد أن (أمجد) يعمل على عرض خيارين أمام الطفل؛ الأول أن يحمل مرضه ناقما غير صابر بطريقة عبثية لا تهدف للنظر إلى ما وراء الأمور، كما فعل سيزيف، أو أن يجعل مرضه سبيلا لإخراج قوته، وأن يستلهم منه ويكون هو نفسه مصدر إلهام لغيره كما حدث مع بلال الحبشي.

إن صورة (الطفل بلال) صورة مكررة في واقعنا اليومي، وإن اختلفت الأسماء والمحن، ولكن يبقى لكل واحد منا صخرة يحملها، وهو من يختار طريقة حملها ومعنى ذلك ونتيجته. يعمل الكاتب على تصوير التناقضات التي تشبع بها الواقع، يقول الكاتب: "وعندما كان عبدول يسكر، في آخر الليل، كان يقول إنه يريد أن يخرج فيلما عن عظمة الإسلام، في كل مرة يسكر فيها كان يقول ذلك.."[16] "..سألته مرة وهو في سكره ولست متوقعا أي إجابة: ما دمت تريد أن تخرج فيلما عن عظمة دينك، فلماذا تسكر ودينك يحرم الخمر؟ أجاب فورا كما لو كان سكره قد طار: لأني أسكر أريد أ أخرج فيلما عن عظمة الإسلام، أريد أن يغفر الله لي."[17]، فلكل واحد منها طريقته في التعامل مع ما يعترض طريقه.

2-التحدي السيزيفي:

تشترك شخصيتا سيزيف وبلال الحبشي في صفة التحدي، فسيزيف تحدى الآلهة، خاصة زيوس عندما أفشى أسراره (خاصة سر اغتصابه لإيجينا ابنة إله النهر أسوبوس)، ليقوم زيوس بربطه بعقوبة أبدية عديمة الهدف لامتناهية. أما بلال الحبشي فقد تحدى سيده مرتين، مرة عندما دخل الإسلام، ومرة أخرى عن طريق الصخرة، فرغم أن سيده منحه فرصة لرفعها ليحصل على مخرج سهل ينجيه مما هو فيه، إلا أنه رفض ذلك، فعلى فقره وضعفه الاجتماعي رأى في هذه الصخرة فرصة ليحقق أعظم انتصاراته وهو يرفع كلمة التوحيد (أحد، أحد)، ويرفع معها هذا الدين، كانت نفس بلال عطشى للحرية، ولما رأى في الدين الجديد المساواة والعدل، تحررت نفسه من كل القيود، ومن ثقل العبودية، فصارت الصخرة خفيفة بعدها، فكيف له أن يترك الصخرة ويعود لثقل العبودية.

استطاع بلال أن يحول هذه الصخرة إلى وسيلة يكشف من خلالها أن هذا دين الحق؛ فالحق قوي ومن كان في صفه قوي به، والباطل ضعيف ومن كان في صفه ضعف به، ولهذا فصمود بلال أمام أمية بن خلف وأعوانه كان تكسيرا لغرور الكفر على صخرة إيمانه وصبره، وفيصل بين الحق والباطل. هذين الاتجاهين المختلفين في التحدي يطمح كل من أمجد والعمري لأن يحولاهما إلى معيار يمكن للطفل بلال أن يعتمدهما كبوصلة لتحديد مساره في الحياة. فمهما اختلفت العقبات فالتحدي هو سبيل المقاومة والرفض والسعي لتحقيق الأفضل.

ج- الاختلاف بين الشخصيات:

رغم التشابه والتقارب بين الشخصيات الثلاث في الرواية؛ إلا أن أحمد خيري العمري يبني روايته على الاختلاف الجوهري الناتج عن طريقة التعامل مع الصخرة، وما سيترتب عنه من اختلاف في مصير كل شخصية في نهاية المطاف.

حيث استحضر الكاتب شخصيتي بلال الحبشي وسيزيف، كصورتين متناقضتين في طريقة تعاملهما مع الصخرة، وسعى إلى إبراز شخصية بلال الحبشي والتشابه بينها وبين شخصية الطفل بلال لتكون مثالا يقتدي به، فالتشابه بينهما دافع لأن يدرك القوة والصلابة في نفسه، ويدرك كذلك أن مواجهة هذا الامتحان، والفوز فيه ممكن مادام شبيهه بلال الحبشي قد استطاع ذلك، فالكاتب عمل على تحرير فكرة الفوز بالحياة، وفتح أمامه أفقا أوسع لهذا المعنى، يتخطى حدود الحياة ذاتها ويتجاوز الموت ولا يقف عنده، ليستحيل الموت مجرد عتبة من حياة إلى حياة، ويمكن للانجاز أن يبدأ قبله ويلا ينتهي بعده.

أما سيزيف فإننا نجده يجسد –كما يقول ألبير كامو– هراء وسخف ولا منطقية ولا عقلانية الحياة الإنسانية. كما أن عقاب الآلهة طُبّق عليه دون أن يتم ربطه بقرار تراجع منه، ولهذا ليس له إلا أن يطبقه بعبثية أبدية، لا غاية من ورائه، ورغم استمرار هذه الحالة إلا أنها مفرغة من المعنى والغاية.

في المقابل نجد أن العقاب الواقع على بلال عقاب قابل للانهاء، فهناك فرصة لرفعه، وذلك مرهون بكلمة يقولها، كلمة يتراجع بها عن إيمانه، غير أنه يقاوم رغم ضعفه ورغم الخطر الذي يهدد حياته في سبيل رفعه راية الإسلام مع تكراره: أحد أحد، إلا أنه سبيل سيعيده إلى قاع العبودية وهو الذي رأى حريته في تلك الكلمة، لتتحول حياته إلى قطعة على صغرها تكمل صورة كبرى مرتبطة بالإنسانية جمعاء. وهو ما استطاع الطفل بلال أن يستوعبه، وأن يسعى لإسقاطه على حياته، ليعمل على البحث عن سبيل لتحويل الصخرة (المرض) من حالة عبثية من المعاناة؛ إلى فرصة لصنع حياة أبدية تكون منارة لكل تائه، وهو ما كان عندما بدأ مدونته (شيفرة بلال) وحملها خلاصة تجربته مع غربته؛ غربة الوطن وغربة اللون وغربة الدين، ليكون عونا لمن يأتي بعده وسببا في التخفيف عنهم.

الخاتمة و النتائج:

وختاما لهذه الورقة البحثية؛ نجمل بعض ما توصلنا إليه في ما يلي:

– اشتغل الكاتب خيري العمري على مستويين من الجمهور(المخاطَب)؛ حيث قام ببناء رواية (شيفرة بلال) ليخاطب بها القارئ, كما ضمنها عالما آخرا ورواية أخرى داخلها خاطب من خلاله بطل روايته وهو الطفل بلال.

– عملت الأسطورة على إضفاء شيء من الغموض على كلا المستويين للخطاب(الداخلي والخارجي للرواية)، إضافة إلى اقتران الأسطورة بالشخصية التاريخية الرمزية التي أضفت بعدا آخر من الدلالات والجمالية على العمل، فالباحث بين طيات العمل ينجد نفسه بين عدة عوالم قد تم صهرها في بوتقة واحدة ليقف هناك باحثا عن دلالات كل عالم على حدا، ثم يبحث في الدلالات الناتجة عن العلاقة بينها، وكذا الأثر الذي يخلفه كل عالم منها في الآخر.

– استطاع الكاتب أن يجعل أسطورة سيزيف مرجعا ينطلق منه؛ ويرافقه في صفحات روايته، رغم أن حديثه الصريح عنها لم يتجاوز بضعة أسطر في بداية الرواية، وذلك يدل على قوة الأسطورة الرمزية وقدرتها على الإشعاع على امتداد العمل، إلى جانب براعة الكاتب في توظيفها.

– تفتح الرواية أفقا من التساؤلات الكونية الوجودية، عن قيمة الحياة والغاية منها، والغاية من الامتحانات والتحديات التي تواجهنا فيها.

– استطاع بلال الحبشي أن ينتصر في امتحانه في ظل المعتقد الديني، وحوله من نقمة إلى نعمة، جعلت في حين يغيب ذلك على سيزيف أو لا يملكه. فظل يعيش أبدية عبثية لا طائل منها.

الهوامش:

[1] محمد صالح البوعمراني. أثر الأسطورة في لغة أدونيس الشعرية (بحث في الدلالة)، مكتبة علاء الدين، صفاقص، (تونس)، ط:01، 2006، ص 21.

[2] أنطوني ثورلبي: اللغة والأسطورة، تر: منيرة كروان، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، (مصر)، ط:01، 1997، ص52.

[3] نعيم اليافي: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، (سوريا)، (دط)، 1982، ص 306.

[4] أحمد كمال زكي: الأساطير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر)، دط، دت، ص12

[5] ينظر: سعيد غريب: موسوعة الأساطير والقصص، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، (الأردن)، ط:1، 2000، ص9.

[6] إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، (تونس)، دط، 1986، ص171.

[7] ينظر: فراس السواح: الأسطورة والمعنى ، دراسة في الميثولوجيا و الديانات الشرقية، دار علاء الدين للنشر والترجمة، دمشق، (سوريا)، ط:02، 2001، ص31.

[8] ينظر: أسماء شاهين: جمالية المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، (الأردن)، ط:01، دت، ص163.

[9] أحمد خيري العمري: شيفرة بلال، عصير الكتب للنشر والتوزيع، (مصر)، ط:23، 2016، ص7.

[10] المرجع نفسه، ص37.

[11] ألبير كامو: أسطورة سيزيف، تر: أنيس زكي حسين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (لبنان)، دط، دت، ص138.

[12] ينظر: المرجع نفسه، ص 138، 139.

[13] ينظر: أحمد خيري العمري: شيفرة بلال، ص38.

[14] المرجع نفسه، ص36.

[15] المرجع نفسه، ص37.

[16] المرجع نفسه، ص11.

[17] المرجع نفسه، ص11.

المراجع:

- إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، (تونس)، دط، 1986.
- أحمد خيري العمري: شيفرة بلال، عصير الكتب للنشر والتوزيع، (مصر)، ط:23، 2016.
- أحمد كمال زكي: الأساطير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر)، دط، دت.
- ألبير كامو: أسطورة سيزيف، تر: أنيس زكي حسين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (لبنان)، دط، دت.

– أنطوني ثورلبي: اللغة والأسطورة، تر: منيرة كروان، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، (مصر)، ط:01، 1997.

– سعيد غريب: موسوعة الأساطير والقصص، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، (الأردن)، ط:1، 2000.

– فراس السواح: الأسطورة والمعنى ، دراسة في الميثولوجيا و الديانات الشرقية، دار علاء الدين للنشر والترجمة، دمشق، (سوريا)، ط:02، 2001.

– محمد صالح البوعمراني. أثر الأسطورة في لغة أدونيس الشعرية (بحث في الدلالة)، مكتبة علاء الدين، صفاقص، (تونس)، ط:01، 2006.

– نعيم اليافي: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، (سوريا)، (دط)، 1982.